حورون

نظرة نقدية ومعطيات جديدة

للأستاذ أندره كاكو
تعريب وتلخيص : بشير زهدي

ورد في العهد القديم اسم المكان (بيت حورون) الواقع على بعد ٣٥ كم جنوب غرب يافا في الموقع الذي تنخفض فيه هضبة فلسطين المركزية نحو السهل الساحلي . ومن السهل التعرف للوهلة الأولى في هذا الاسم على « بيت أو معبد حورون » قياساً على (بيت دجون) . (بيت شمس) . وإن مفسري كتب التوراة التي ذكر فيها (بيت حورون) ، وجغرافي الأرض المقدسة . ومؤرخي الديانات السامية لم يشكوا بأن هذا الاسم المكاني يحتفظ باسم ربة سامية قديمة .

وفي عام ١٨٨٣ عندما نشر (كلير مونت جانو) خاتماً فينيقياً محفوظاً في قاعة المداليات في باريس وعليه اسم (عبد حورون) لم يفكر باسم المكان ، وتخيل بأن (حورن هو هنا أو المنطقة السورية من حوران أسبغت عليها الا لوهية بشكل غريب أو انه صيغة ماللاسم التدمري (حيرن) من أصل عربي .

وحسب معرفتي فان (إيزيدور ليفي) هو أول من وحّد بدقة في عام ١٩٢٧ أو ١٩٢٨ اسم المكان هذا وتعرف فيه على اسم الرب (حورون) وذلك عندما عرف ـ بواسطة ا. بلاسارت ـ كتابة اغريقية من القرن الثالث ق.م مكتشفة في (ديلوس) وتتضمن إهداء الى (اوروناس) و (هراقليس) الربين سيدي (جامنيا) .

وهناك مصدر آخر خارجي سمح بنسبة (حورون) الى مجموعة آلهة قدماء الساميين فمنذ ١٩٢٧ وبواسطة ملف البردي السحري باسم (هاريس ٥٠١) والذي يعود الى الاسرة التاسعة عشرة كنا نعرف أنه ورد أربع مرات ذكر الرب (حورون) مشتركاً مع الآلهة الكنعانية (رشف) و (عنات) وكان يبتهل اليه كالراعي الحامي الطارد للحيوانات المتوحشة التي تهدد المؤمن . وفي عام ١٩٣٤ قرب العالم (أولبرايت) معطيات (بردي هاريس) مع المعلومات اليونانية والسامية وفي عام ١٩٢٦ قدم أول دراسة عن الرب (حورون) متضمنة الاكتشاف الذي قام به (ب . مونتيه) في تانيس عام ١٩٣٤ المؤلف من تمثال رمسيس الثاني الطفل في حماية الصقر والمسمى بـ (محبوب حورون) ، وقد نشر في السنة التالية

من قبل (ب مونتية) نفسه و (ب . بوشر) اللذين تعرفا فوراً على الأصل السامي للرب ووحداه مع (حورون) المذكور باسم المكان (بيت حورون) . وان (البرايت) هو أول من افترض تفسير اسم المكان الالهي بمصدر عربي (حور = عمق) وانطلق لرؤية اسم رب العالم الأسفل في اسم (حورون) . ومن الممكن مناقشة طريقته في استخدام دلالة نص ديلوس للتنبؤ بأن (حورون) اسم رب من طراز ديونيزوسي (إذ لم يكن مسموحاً بتضحية الماعز الى اوروناس وهيراقليس) . وأكثر جدلا أيضاً استخدامه المعطيات الاوغاريتية متنبئاً بأن (حورون) — الذي كان مازال مجهولا في أوغاريت — معادل (موت) وقد توحد مع (حوروس) لأنه عدو (سيت) الذي هو الترجمة المصرية لـ (بعل) ضحية (موت) . وكان العالمان (مونتيه) و (بوشر) أكثر حذراً بارجاع توحيد (حورون) مع (حوروس) المستوحى من أثر (تانيس) وغيره من الآثار المصرية الى وحدة الاسم الجزئية للربين دون البحث في الصلات الدينية الوثيقة. ومن المشكوك فيه أخيراً ان (البرايت) كان محقاً ان يذكر بمناسبة (حورون) (حوران) اذ يبدو لي جدوى من البحث في ذكريات ربة سامية قديمة .

وفي عام ١٩٣٦ بدأت رأس الشمرة تسهم في استكمال مايتعلق بـ (حورون) بشكل جازم . فقد أشار شارل فيرولو عامئذ الى مقطع من قصيدة كيريت الذي هدد ابنه الثائر بكسر الرأس من قبل (حورون) وتحطيم الجمجمة من قبل (عشتار) . تلك العبارة التي سمحت باستكمال مقطع من (آب) حيث يتوجه (بعل) بنفس القذف الى (يم) مما يكشف عن صيغة دارجة تجعل (حورون) للوهلة الاولى المهدد المقاتل . ويعود الى الاستاذ (فيرولو) فضل اقامة برهان قاطع على وجود الرب (حورون) لدى سامي المنطقة الغربية .

ومن منطقة أخرى من الأراضي السورية فان تميمة موقع (ارسلان طاش) المنشورة من قبل الكونت (دوميسنيل دوبويسون) عام ١٩٣٩ أضافت لمسة ذات دلالة لصورة (حورون) لم تكن قد شوهدت جيداً بسبب خطأ في قراءتها . وبعد النشر فقد اعتقد كل المفسرين بأن النص المنقوش على الأطراف الجانبية والعلوية يتمم النص الذي ينتهي على القفا . وقرئت عبارة (اشت حورون = زوجة حورون) من قبل ناشرها الذي رأى فيها تعارضاً لاسم (علت = ربة) — (ولكن هناك من ترجم بعبارة صلك او تحالف) — الذي ينهي كتابة القفا . وقد افترضت ان نفهم كتابة الأطراف شريكات زوجاتي سبعة ، نساء الرب المقدس ثمانية . وان التي تتكلم يبدو أنها قابلة او الأم الشابة التي خصصت لها التميمة . فقد توجهت الى (حورون) بعبارة سحرية تصطف بها بين نساء حريمه وتكتسب حقاً خاصاً بحمايتها . وعلى كل فان (حورون) يبدو هنا في القرن الثامن ق.م كرب حافظ من الأذى من تتوكل عليه .

ان الكتابة المكتشفة في (ارسلان طاش) أخذت مكانها في الدراسة الجديدة التي أعدها (أولبرايت) عن (حورون) في عام ١٩٤١ اذ

جعله سيد العدالة والحق . وكان قد أغنى اضبارتنا بوثائق مصرية جديدة وصلت من (الجيزة) وأكدت توحيد الربين (حورون) و (حوروس) وأشار الى أقدم دلالات الرب اذ أن نصوص نهاية الامبراطورية المصرية القديمة المنشورة من قبل (ج. بوستر) قدمت اسم (حونو – ايبوم) الذي حمله أميران فلسطينيان ونتعرف فيه على الاسم السامي (حورون – عبم) الذي وجد في (ماري) بصيغة (حا–او–را–ان – ا – ني) أي (حورون ابي) . وقد فكر (البرايت) في أسباب توحيد (حورون) في (حوروس) آخذاً موضوع النزاع بين (حورون) و (بعل/سيت) وقد قيم العلاقات التي تبدو موحدة (حورون) مع (عشتارت) في (اوغاريت) لتجعل من الرب محباً وولد الربة .

وطيلة الحرب العالمية وما بعدها كانت الاسهامات في معرفة (حورون) تأتي بشكل خاص من قبل الاخصائيين بالدراسات المصرية. وقد عرض (ج . بوستر) شواهد مصرية لم تقدم فائدة بالنسبة للاخصائيين بالدراسات السامية ولكنها ذكرت بأن عبادة (حورون) هي من أصل سوري ودخلت الى مصر بواسطة لاجئين سوريين. وقد افادت هذه العبادة من تذوق الفراعنة العسكريين في عهد الامبراطورية الحديثة للاشياء الأسيوية ولكن هذه الاحاديث عن الرب (حورون) قصيرة جداً لاتكفي للكشف عما كان عليه بالنسبة لأتباعه في بلاده الأصلية . وقد ظهرت دراسة (ج . لايبوفتيش) في نفس الوقت واشارت الى عدد من الاثار التي تدل على الطابع الأسيوي الذي حافظ عليه (حورون) في مصر ومن هذه الآثار : قطعة من (كبش = أبي الهول) أو سبع في (تل مسحوتاً) عليه كلمات (حورون رمنن = حورون لبنان) وهناك نصب في متحف القاهرة اكتشف في شرق الدلتا يمثل في النطاق العلوي (آمون رع) و (رشف) أمام منضدة التقدمات في حين انه في النطاق الأسفل فان العابد راكع أمام رأس مقدس متوج بالتاج المزدوج ويسمى (حورون) وبعدئذ رأى (س . ساونيرون) كتابتين جديدتين تتحدثان عن (حورون) الذي يدل من جديد على قرابة آسيوية ثابتة في أوساط أخذت طابعاً آسيوياً في مقالع مدافن (ثيبة) : فهناك حجر جيري نذري مكسور ، وقطعة خشبية عليها صور نفس الأشخاص مما يسمح باستكمال نص النذر : يبدو (حورون) بمظهر مصري لصقر حوري ، وفي الجهة الثانية يبدو رب سامي غيره نتعرف عليه من صورته الأمامية بشكل (مقدمة غزال) باسم الرب (شيد) .

ولا يبدو ان المختصين بالدراسات السامية أخذوا بعين الاعتبار المعلومات التي توصل اليها (لايبوفتيش) و (ساونيرون) . ولكن مقال (جراي) يدل على تقدم في التفسير . وهو أكثر غموضاً من (البرايت) ويفترض (جراي) خصائص وظيفية للرب (حورون) تعتمد بشكل رئيسي على اشتراك هذا الرب مع (هيرا قليس) في الكتابة المكتشفة في (ديلوس) : وان (اوروناس) يشغل تجاه (هيراقليس = ملقارت) نفس وضع (يولاوس) الذي يذكرنا بـ (هيرا قليس) بموجب اسطورة وصلت من (اودوكس من كنيد) . وبعد

(فون بوديسن) قام (جراي) بتوحيد (يولاوس) مع (اشمون) ورأي أذن في (حورون) صورة لـ (اشمون) . ويبدو ان الاكتشافا ت التالية قد أعطت الحق لفرضية (جراي) هذه بتصنيف (حورون) بين الآلهة الشافية في فلسطين ، وكان في بادىء الأمر الشاهد المصري الذي ذكره (س. ساونيرون) عام ١٩٥٠ بأن (حورون) كان فيها في الواقع مشتركاً مع الرب (شيد) الذي يوجد اسمه في الألف الأول قبل الميلاد مصحوباً بصفة تدل على وظيفته (شادرافا ، شيد الشافي) .

ولكن أفضل تأكيد لفرضية (جراي) وصل من رأس الشمرة التي اكتشف فيها الرقيم الطيني (٢٤٢٤٤) نشره (شارل فيرولو) عام ١٩٦٨ وأوضح ان (حورون) هو الرب الوحيد يلبي نداء من لسعه ثعبان سام ، في حين أن بقية الآلهة تختفي . ويلاحظ بفضل هذا النص السحري اسطورة (حورون) الحقيقية : ان شفاء الضحية طلبته (عوم باحال= الفرسة) ابنة (شاباش) التي توسلت الى أمها (ربة الشمس) كي تتوسط لدى مختلف الآلهة ، وأخيراً فقد حصلت (شاباش) على مساعدة (حورون) الذي زار دار المريض بعدما قطف النباتات الشافية . ويبدو ان الفقرة الأخيرة من الرقيم عبارة عن حوار بين (حورون) و (عوم ـ باهال) يفيد بأن الربة المتضرعة قد حصلت على قوة تقهر الثعابين وذلك كـ (هدية زواج) أو (مكافأة حب) قدمها (حورون) . ويفترض أن الاسطورة تنسب الى (عوم باهال) مغامرة مماثلة لمغامرة الربة (كوره) ابنة (ديميتر) ولكن بمعنى آخر محسوس : فابنة (شاباش) بقيت قرب (حورون) ... ويفكر بجهنم التي زارتها الشمس في دورتها الليلية . وهناك غدت (عوم باهال) زوجة (حورون) . وكمكافأة على لطفها حصلت على ان يمارس الرب تجاه البشر قدرته على الشفاء . وان الرقيم الطيني (٢٤٢٥١) يبدو انه ينسب الى (حورون) انتزاع سم الثعابين .

ومن المناطق الغربية للعالم السامي وصلت آثار أكثر تواضعاً تدعم من جديد فرضية (ج . جراي) وكانت كلمة (حورون) قد ظهرت على كتابة مبتورة مكتشفة في (آنتاس) في سردنييا ، ولم يتعرف ناشرها على الاسم الرباني . ولكن بقايا هذه الكتابة ذات وضع مماثل لنص آخر من (آنتاس) واستطاع (م . سزنيسر) ان يستكمل النص الأول بالمقارنة مع النص الثاني الذي يخلد تقدمة الى الرب (شيد بعبي) الرب الكبير فيها وهي تمثال (شادرافا) . وان الكتابة الأولى تذكر بنفس الصيغ تقدمة الى (شيد بعبي) مؤلفة من تمثال (حورون) الذي يبدو كنفس اسم الرب (شادرافا) الذي يصفه بالشافي .

ان المعطيات الاوغاريتية والبونيقية لم يستطع (جراي) الافادة منها قد دخلت في آخر دراسة عن (حورون) قام بها (ب. كسيلا) المهتم بتحديد الخصائص الرئيسية لهذا الرب اعتماداً على الوثائق . وقد حاول بشكل خاص حل الالتباس الظاهر في الدليلين

الرئيسيين الاوغاريتيين (في قصيدة كيريت) موضحاً أحدهما كرب مقاتل والآخر كرب يشفي ، ويجعل (حورون) قبل كل شيء كرب يحمي ويقدر على واجهة قوى الشر التي تعتبر الثعابين أحسن صورها ومنه الشفاء . وان توحيد (حورون) مع (حوروس) أكثر من لعب ألفاظ واستطاع الرب السامي ان يظهر مشابهاً للرب المصري لان هذا الرب هو الحافظ (قاتل سيت) وأعاد الحياة الى (اوزيريس) وان النجاح الذي تدل عليه وثيقة من عهد رمسيس مكتشفة في (تانيس) ألا يمكن تفسيره بالشهرة التي عرفت بها الآلهة المقاتلة عند الساميين مثل (عنات) و (عشتارت) ؟ ولكن (رشف) يأخذ في مصر مظهراً أكثر حربياً مما كان في آسيا وهنا مجال التساؤل فيما اذا كان المصريون لم يزيدوا هذه الصفة لدى (حورون) أكثر مما يفترضه ظلم (كيريت) بأن (حورون يكسر لك الجمجمة) . ويقبل (ب . كسيلا) الاشتقاق الذي يربط اسم الرب باسم الكهف وهذا ربما أتى من دعم الصفة الأرضية المحسوسة في الأسطورة التي يتضمنها الرقيم (٢٤٢٤٤) وهناك نقطتان في حجج (ب . كسيلا) تبدوان لي قابلتين للجدل . وانني اشك بأن العنوان (الراعي الحافظ) الذي يقدمه مقطع ملف البردي السحري المعروف باسم (هاريس) بشكل دلالة لمصلحة الأصل البدوي أو شبه البدوي لهذا الرب الذي كان في بادىء الأمر حامي القطعان ضد الثعابين قبل ان يصبح في الوسط المتحضر حامي القابلات الذي تظهر التميمة المكتشفة في (ارسلان طاش) ويكون(حورون) عدو كل الكائنات الضارة ولم تكن الثعابين أقل خطراً في المدن مما كان في الريف القاحل.

وأخيراً ليس هناك من سبب افتراض انحطاط عبادة (حورون) من الالف الثاني حتى الألف الأول ق.م وشأنه ككثير من الآلهة السامية القديمة كان ظهوره في أوقات متفرقة في حدود الزمان والمكان ولكنه يشغل فترة زمنية واسعة لقبول استمرار عبادة هذا الرب الصغير في نقاط مختلفة ومبعثرة ربما لأن وظيفته الشفائية كانت ممارسة من قبل آلهة ذات خصائص مماثلة لخصائصه ولكنها بأسماء مختلفة وهذا مايمكن ان ندعوه بنفس اسماء حورون (اشمون وشادرافا لكونهما أكثر أهمية) .

وان معرفتنا عن (حورون) شهدت تقدماً جديداً بفضل اكتشاف تم في (رأس ابن هانىء) عام ١٩٧٨ وهو عبارة عن رقيم جميل جداً (٢٠/٧٨) مكسور ولكنه ذو كتابة مؤكدة ونصها كثير الصعوبة وغني بمفردات جديدة وهو بدون شك ذو خصائص سحرية دينية ويتكلم عن طرد الكائنات المؤذية ذات مظاهر شيطانية ، وسحرة ، وان أحد المقاطع الأكثر وضوحاً من الرقيم يسمي الرب (حورون) بطريقة لاتترك أي شك في وظيفته الوقائية : (فليطرد حورون المشاركين والفتى الشركاء) . ان بنية الجملة هذه لها مايوازيها (في آ . ب ٦ ، ٤٨ — ٤٩) وفائدتها ثنائية (أن كوتار رفيقك ، وخسيس شريكك) .

اننا نجد التناظر (خبر – دعت) مصطلحان للدلالة على المرافقين وذوي الصلة الحميمة . وان نص (رأس بن هانىء) يتعلق حسب الظاهر بالمؤذيين المتجمعين ضد الذي حماه (حورون) . ان المقطع الأول من (آ . ب) يظهر بعدئذ انقسام الاسم الالهي المزدوج (كوتار – خسيس) للتمكن من تشكيل عنصري جملة في تناظر دقيق . وان بنية نص ابن هانىء لكونها نفسها تماماً فانه يجب الافتراض بأن (حورون) يعرف في رأس الشمرة باسم أكثر كمالا (حورون الفتى) أو (حورون الغلام) مما يضيف الى صورته تفصيلا كان حتى الآن يقدم مايماثلة (شادرافا ، يولاوس) ويسمحان بالشك .

ان التأكيد الجديد لـ (حورون) في (رأس الشمرة) يصل المظهر القتالي بالمظهر الشفائي له ويستخدم تجاه الكائنات الضارة الرقيم السحري كانه تجاه عدو ضده يبتهل اليه (كيريت) . فهل هو مقاتل أولا بقدر ماهو شاف ، ويعاقب قوى الشؤم التي يسعى السحر لاضعافها ، أم انه المنتصر على هذه القوى لانه بشكل عام رب حافظ ؟ ان الوثيقة الموجودة تميل بالرأي الى الجواب الأول . ان (حورون) لم يكن رباً حربياً ولم يمارس شجاعته – مثل بعل – ضد أعداء عموميين ، وعندما هدد (كيريت) (باسيب) بضربات من ((حورون) التجأ الى صيغة اللعن التي كانت من المحتمل دارجة وتجعل الخصم الشخصي في صف الشياطين ولا تطبق شيئاً آخر غير شكل من عكس الكلام ممايننتظر من حامي الأفراد . وفي مصر نفسها ، ان وظيفة الحماية هذه بقيت أساسية ، وان توحيد (حورون) مع (حوروس) الذي سهل الوحدة الصوتية يذكرنا بما دفع الرب الشاب (شيد) نحو شخصية (حوروس) مع ان اسم الرب السامي قد اختلط بصفة الصقر وتدل على معنى « المنقذ » .